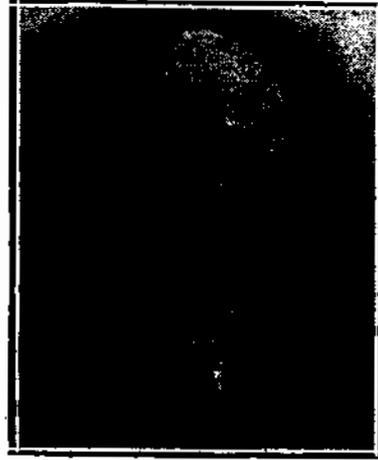


صه تراثنا الأوربي

أحياء مخطوطات

للأستاذ محمد كرد علي

عضو مجمع اللغة العربية الملكي



وعدت أن أتكم
على الكتب التي نشرها
العلامة كرينكو، ومنها
هذه الثلاثة الكتب
المهمة . أولها كتاب
التيجان لوهب بن منبه
والثاني أخبار عبيد بن
شريعة، والثالث كتاب
الحماسة لابن الشجري .

ويهمنا أن نعرف أولاً من هو وهب بن منبه . كان وهب من
علماء التابعين ، وهو من الأبناء أبناء فارس اليمويين مع سيف
ابن ذي ين لقتال الحبشة في اليمن ، فهو على الأرجح فارسي
الأصل ، وكتاب التيجان كما قال فيه ابن خلكان ترجمه يذكر
الملوك التوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم .
وهو رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن
أبي ادريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه . وتوفي وهب
في صنعاء اليمن في سنة عشر وقيل أربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة
ذكر ابن سعد صاحب الطبقات الكبير في ترجمة وهب بن
منبه أنه قال : لقد قرأت اثنين وتسمين كتاباً كلها أنزلت من
السماء ، اثنان وسبعون منها في الكنائس ، وفي أيدي الناس ،
وعشرون لا يملها إلا قليل ، وجدت في كلها أنه من أضاف
إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . قال : وفي مقدمة كتاب
التيجان : قرأت ثلاثة وسبعين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء ،
فوجدت فيما أن الكتب التي أنزلها الله على النبيين مائة كتاب
وثلاثة وستون كتاباً : أنزل صحيفتين على آدم بكتابين : صحيفة

في الجنة وصحيفة على جبل لبنان ، وعلى شيث بن آدم خمسين
صحيفة ، وعلى أخنوخ وهو أدريس ثلاثين صحيفة ، وعلى نوح
صحيفتين ، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة ، وعلى موسى خمسين
صحيفة وهي الألواح

بدأ وهب كتابه بأحوال خلق العالم ، ونسب ولد سام وحام
ويافت ، وملك حمير ووائل والسكسك ويعفر وعامر ذي رياس ،
والمافر بن شداد وشداد بن عاد ولقمان بن عاد ، والمال بن عاد
والحارث بن الممال والصمب ذي القرنين ، وأبرهة والعبد بن
أبرهة وعمرو بن أبرهة ، وشرحيل والد وهب وملك بلفيس
وملك رجيم بن سليمان وغيرهم من التوجيين من ملوك غسان ،
وغيرهم من ملوك اليمن والتبابعة وقصة النار التي تعيدها حمير
إلى آخر من ذكر من الملوك التوجيين

وأهم ما في الكتاب هذا القسم التاريخي . ومن قرأ القصائد
الواردة فيه بامعان يستنتج منها مادة تاريخية ، بيد أن كتاباً عرف
مؤلفه باكتازه لا يخلو من مسائل نمدتها اليوم ترهات ، وربما
كانت في عصره وقطره حقائق مسلمة

أما الكتاب الثاني ، فقد نقل عن عبيد بن شريعة من
المعمرين من أهل اليمن أيضاً . كان وفد على معاوية بن أبي سفيان
في الشام ، فلما رآه معاوية آية في تاريخ اليمن وملوك العرب والمجم
يروي أخبارهم مشفوعة بأشعار ، أمر كتابه أن يدونوا ما يتحدث
به عبيد بن شريعة في كل مجلس يهر فيه مع معاوية ، فبيد هذا كان
الرواية والمدونون كتاب معاوية

وفي هذا الكتاب حديث هلاك عاد وثمود وجرم وخروجهم
من اليمن إلى الحرم ، وناسر النعم بن عمرو بن يعفر بن همر ، وشمر
يرعش بن افرقيس بن أبرهة بن الرائس ، وتبع الأقرون وهو ذو
القرنين ، وملك كرب بن أسعد ابن تبع الأكبر ، وأسعد أبو
كرب الأوسط . وتتخلل كل ذلك قصائد عليها مسحة السذاجة
والبداوة ، والقالب أنها أو بعضها من شعر الجاهلية القريب
العهد بالاسلام ، كان ينقل من الصدور ثم دوت في السطور

ذكر ابن النديم صاحب الفهرست أن معاوية لما أمر بتدوين
ما روي في مجلسه عبيد بن شريعة أمر أن ينسب إليه ، وأن لينيذ
عدة كتب . وكان معاوية يعجب بحفظ عبيد ويستزیده ، وقال
له مرة : « خلت يا عبيد أن يكون هكذا ، فزادك الله علماً وفهماً ،

أطروحة باللغة الإنجليزية نشرتها قبل طبع التيجان في مجلة الثقافة الإسلامية Islamic Cultura

أما الكتاب الثالث ، فهو كتاب الحماسة لـهبة الله بن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢ ، فهو سفر صغير في نحو ثلثمائة صفحة ، أورد فيه أطايب من شعر الجاهليين والمخضرمين والمحدثين على مثال حماسة أبي تمام وحماسة البحترى . وابن الشجري معروف عند العلماء بأماليه ، وأماليه طبعت في مصر ، وهي كأمالى المرتضى في اللغة والشعر والأدب والنحو والبيان ، ولاتشبه أمالى القالى ، وهي في شعر الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين وقد كسر ابن الشجري حماسه على أبواب وفصول ، فساق في الأبواب أثمار الحماسة واللوم والعتاب والمراتي والمديح ، والمجاء والأدب ، والنسب والحنين الى الأوطان ، والارتياح عند هبوب الرياح ، والاشتياق عند لمان البروق ، والنزاع عند نوح الحمام ، والشوق عند حنين الابل ، والطيغ والخيال ؛ وساق مقطعات من غزل جماعة من المحدثين وصفات النساء والتشبيهات ؛ وأورد في الفصول « طيب النكهة وعذوبة الريق » و « طيب الريح » و « وصف العين والنظر » و « حسن الحديث وطيبه » و « المضاجعة وشدة الالتزام » و « وصف النار » و « وصف التنائف ، والوحش والابل والركب ، وأخيصة السفر » ، والصفات والتشبيهات في الليل ، والنجوم والمجرة والحلال والصبح ، والصفات والتشبيهات في الرياض والمياه والنبات ، والصفات والتشبيهات في السحاب والبرق والغيث ، وصفات آلة الحرب وتشبيهاتها ، وصفات العكس والخط وآله ، وصفات الشعر ، وصفات الشيب والشباب والخضاب ، والتشبيهات الحثرية ، والتشبيهات في الغناء وآله والمغنين ، والتشبيهات الفزلية ، وتشبيهات المدح ، وتشبيهات الهجاء ، وتشبيهات وصفات في معان مختلفة . وختم الكتاب بباب الملح والأشعار المزيدة على الأصل . ودونك طريقته في الاستشهاد ، وقد يحل بعض المويص والغريب من المفردات حلاً مختصراً مقبولاً ، قال في صفات آلة الحرب وتشبيهاتها :

« قال امرؤ القيس يصف قرساً »

وقد اغتدى والطيغ في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فانا لا نحصى أياذك ، فزادك الله فضلاً الى فضل وهدى الى هدى »

وفي تدوين معاوية روايات عبيد دليل بأن التدوين حدث منذ القرن الأول ، فقد ذكروا أن زيد بن ثابت ألف كتاباً في علم الفرائض ، وأن عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث وألف كتاب في قضاء علي في عهد ابن عباس ، وأن وائلة بن الأسقع من أهل المشقة المتوفى سنة ثلاث وقيل خمس وثمانين ، كان يعلى على الناس الأحاديث وهم يكتبونها بين يديه . وكل هذا يدل على أن القوم بدأ تدوينهم في عصر الصحابة ، وإن لم يدونوا ما أفرده في التأليف إلا في القرن الثاني للهجرة

أما عبيد بن شربة هذا فهو من الأخباريين ، ولناثر كتابه الأستاذ كرينكو رأى فيه . كتب الى يقول : « إنك تمتد كما اعتقد قبلك يا قوت الحموى وابن خلكان أن عبيد بن شربة كان رجلاً اخبارياً بالحقيقة ، وأنا أخالف رأيك ، ورأى من سلف ، وأعتقد أن روايته من موضوعات محمد بن اسحق مؤلف السيرة ، ومن الدلائل على هذا أن أكثر المصنفين الذين تكلموا في هذا الكتاب لم يروه ، بل نقلوا ما وجدوه في الكتب التي تداولوها ، وكثرة الأسماء الركيكة التي لامعني لها فيه تخالف أسلوب الشعر القديم كما نجدتها في دواوين القدماء البديويين والمخضرمين مثل حسان بن ثابت وأقرانه . ولم يكن لي غير نسختين كلتاها مكتوبة في صغاء ، وهما من أصل واحد بلا شك ، إذ أغلاطهما واحدة ، وما كان عندي يوم تصحيح كتاب التيجان سوى نسختين ، نسخة مختصرة في خزانه برلين ، والنسخ الثلاث الأخرى مكتوبة في اليمن . ولو أنتمت النظر في الكتابين كتاب التيجان ورواية عبيد نجد أن مؤلفهما كتبهما ليزيد مغاخر اليمن على النزارية ، وليثبت أن مجد اليمن أقدم وأكبر مما كان مجد النزارية ، وهذا تعصب منه على قريش ، ولهذا لم تكن لها سوق في سائر بلاد العرب ؛ ونجد كثيراً من أساطير الجمانيين مختلطة بالآثار الصحيحة . وقد نقل الهمداني كثيراً من الروايات غير المحققة في كتاب الأكليل ، ولا سيما في القبوريات ؛ ثم جاء عبد الملك بن هشام مع تعصبه لليمانية فشوش الكتاب كما شوش السيرة ، ولم يبنه عليه أحد ؛ إلا أن المحدثين كلهم بضمفون أبا إسحاق ويسمون أخبارياً لا محذناً ، وقد أبنت رأي في ذلك في

مكرر مفر مقبل مدبر ممأ
له ابطلا ظبي وساقا نعامه
وقال البحرى :
أراجعتى يداك بأعوجى
بأدم كالظلام أغر يجلو
ترى أحجابه يصعدن فيه
وله وكان وصافاً للخيل :
أما الجواد فقد بلونا يومه
جارى الجياد فطار عن أوهامها
جدلان تلطمه جوانب غرة
واسود ثم صفت لعينى ناظر
مالت جوانب عرفه وكأنها
وكان فارسه وراء قذاله
لانت معاطفه ثقيل أنه
فى شطة كالشيب تم بفرق
وكان سهلته إذا استعلى بها
مثل القراب مشى يبارى حجه
وله :
وأغر فى الزمن البهيم محجل
كالهيكل البنى إلا أنه
ذنب كما سحب الرداء يذب عن
جدلان ينقض عنزة فى غرة
تتوم الجوزاء فى إرساغه
فكأنما نفضت عليه صبغها
وتخاله كسى الحدود نواعماً
وتراه يسطع فى القبار لهيه
هزج الصهيل كأن فى نفاه
ملك الميون وإن بدا أعطيته
وأهدى البحرى إلى عبد الله
بن خاقان فرساً وكتب إليه :
من نسل اعوج كالشهاب اللامح
موج القنبر على الكى الرامح
طرفاً إلى عذب الزلال السامح
منه على جدلان أبيض واضح

بكلهود صخر حطه السيل من عل
وارحاء سرحان وتقريب تنفل
كقدح النبع فى الريش الاؤام
بغرة دياجير الظلام
صمود البرق فى جون القمام
وكنى بيوم غبراً عن عام
سبقاً وكاد يطير عن أوهامه
جاءت بجى البدر عند تمامه
جنباته فأضاء فى اظلامه
عذبات أثل مال تحت حمامه
ردف فلست تراه من قدماه
للخيزران مناسب بعظامه
غزل لها عن شبيه بفرامه
رعد تقمع فى ازدهام غمامه
بسواد صبغته وحسن قوامه
قد رحت منه عن أغر محجل
فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
عرف وعرف كالقناع المسبل
يقق تسيل حجولها فى جندل
والبدر فوق جبينه التهلل
صهيا للبردان أو قطربل
مهما تواسلها بلحظ تخجل
لونا وسراً كالخريق المشمل
نبرات معبد فى الثقيل الأول
نظر المحب إلى الحبيب المقبل
الله بن خاقان فرساً وكتب إليه :
من نسل اعوج كالشهاب اللامح
موج القنبر على الكى الرامح
طرفاً إلى عذب الزلال السامح
منه على جدلان أبيض واضح

فيكون أول سنة متبوعة
وقال عبد الله بن المعتز :
وخيل طواها القود حتى كأنها
صبينا عليها ظالمين سيوطنا
إلى آخر الفصل . . .
وروى فيها فصل صفات الكتب والخط وآلاته
قال الكندى بصف الدفاتر :
خرس تحدث آخراً عن أول
سقيت بأطراف اليراع بطونها
تلقاك فى حمر الثياب وسودها
وتريك ماقدفات من دهر مضى
وقال آخر :
نعم المحدث والنديم كتاب
لامفشيئاً سراً إذا استودعته
وقال المهلبى يصف كتاباً :
وفضضته فوجدته
مثل السوالف والجباه ال
وكنظم در كالتغو
أزنته منى بمت
وقال أبو تمام يصف كتاباً :
فضضت ختامه فتبلجت لى
وضمن صدره ما لم تضمن
وقال آخر فى وصف كتاب :
مداد مثل خافية القراب وأقلام كرهفة الحراب
وقرطاس كقرقراق السراب وألغاز كأيام الشباب الخ

هذا ما نشره الأستاذ كرنيكو من كتب العرب وهو ينشر
اليوم فى القاهرة كتاب « المؤلف والمختلف » للإمدى، و« رسالة
ابن الجراح » وما بقى من معجم الشعر للرزبانى، وفى هذا الكتاب
أخبار لا توجد فى الكتب التى بأيدينا فضلاً عما حوى من الشعر
القديم . وبمد هذا ألا نشكر لعملاء المشرقيات غيرتهم على نشر
كتب العرب وإظهارها بمظهر من التحقيق الدقيق يسطون عليه
القاهرة محمد كرد هنى